



خطبة صلاة الجمعة 1/ 4/ 2022 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

## (التخلق بأخلاق القرآن عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بذلك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار «مكارم الأخلاق».

هذه الخطبة السادسة والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلى بها).

أيها الإخوة:

مع انتظارنا هلال رمضان الليلة أو التي تليها يطيب الحديث عن القرآن الكريم إذ «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتني الطعام والشهوات بالنهار، فشققني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل، فشققني فيه»، قال: «فيشفعان» [مسند أحمد].

وقد كانت بداية نزول القرآن الكريم في رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

ولما كنا نتحدث عن أخلاق النبي ﷺ فليكن الحديث عن التخلق بأخلاق القرآن عند النبي ﷺ.

عنوان خطبة اليوم: التخلق بأخلاق القرآن عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بذلك

أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريراته وأخلاقه هي التفسير العملي والبيان البشري لآيات القرآن الكريم، فما رضي القرآن أمراً إلا ارتضاه رسول الله ﷺ وما سخط عن أمر إلا سخطه رسول الله ﷺ. وقد كان ﷺ قرآناً يمشي على الأرض وربّي رجالاً صار كل منهم قرآناً يتحرك، وإذا كانت الصحف قرآناً صامتاً فإنّ السنة النبوية قرآن ناطق.

وإذا كان حديث اليوم عن التخلق بأخلاق القرآن عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بذلك، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- أخرج الإمام مسلم عن سعد بن هشام أنه قال للسيدة عائشة رضي الله عنها، يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» وفي رواية البيهقي قلت لعائشة رضي الله عنها: "ما كان خلق رسول الله ﷺ؟" قالت: "قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ فخلقه القرآن".

وأخرج الحاكم في المستدرک أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت: يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت للسائل: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن» ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين؟ اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقرأ حتى بلغ العشر ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1-11] فقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

وروى البيهقي عن أبي الدرداء، أنه سأل عائشة، عن ذلك، فقالت: "كان خُلُقُه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه".

فرسول الله ﷺ يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ويتخلق بأخلاقه الحميدة ويتمثل خصاله النبيلة ويجسد خلاله الجميلة.

2- أخرج الواحدي في أسباب نزول قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)** [النساء:

58] قال: لما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، أغلق عثمان بن طلحة سادن الكعبة باب البيت، وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقبل إنه مع عثمان، فطلب منه، فأبى وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذ منه المفتاح، فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله قول تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** [النساء: 58].

فأمر رسول الله ﷺ أن يُرد المفتاح إلى عثمان ويُعتذر إليه، ففعل ذلك علي. فقال له عثمان: يا علي، أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أنّ محمداً رسول الله، وأسلم.

فرسول الله ﷺ يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ويتخلق بأخلاقه الحميدة ويتمثل خصاله النبيلة ويجسد خلاله الجميلة.

3- أخرج الواحدي في أسباب نزول عبس وتولى أن جاءه الأعمى، هو (ابن أم مكتوم)، وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وعباس بن عبد المطلب، وأبياً وأمياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم.

فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشغول مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعيبد، فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم. فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي"، وكان يستخلفه على المدينة يصلى بالناس في عامة غزواته ﷺ.

فهذه صور من صور تخلق رسول الله ﷺ بأخلاق القرآن وتأدبه بآدابه وتحسينه لخلاله وخصاله.

والحاصل أن النبي ﷺ كان يتخلق بأخلاق القرآن ويجسد معانيه، والمتوقع أن تجتهد أنت في رمضان وغيره في قراءة القرآن وفهم مراميهم ثم في التخلق بأخلاقه وتمثل معاليه.

- الإمام مالك يركع بعد العصر مخافة عقاب القرآن: دخل الإمام مالك رحمه الله المسجد بعد صلاة العصر، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر، فجلس ولم يركع، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع! فقام فركع ولم يحاجه بما يراه مذهباً، فقليل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 48-49].

التخلق بأخلاق القرآن رضى للرحمن ومتابعة للنبي العدنان وسعادة لبني الإنسان

- الشيخ أمين كفتارو يعود إلى منزله لما قيل له ارجع: كان الشيخ محمد أمين كفتارو والد الشيخ أحمد كفتارو رحمهما الله ذا مكانة علمية وتربوية عالية، وقد حصلت بينه وبين أخيه خصومة قطعت الأخ عن أخيه وأراد الشيخ الذي كان يسكن في حي الصالحية زيارة أخيه في بيته الذي كان يسكن في قرية ببيلا، ولم يكن يومها الوصول إلا سيرا على الأقدام، وحاول الابن أن يثني أباه عن الذهاب لما يعلم من شدة حنق أخيه عليه فلم يلتفت الأب وذهب بابنه معه، وبعد مسير طويل وصل الشيخ أمين إلى بيت أخيه في ببيلا وقرع عليه الباب، ولما سئل من بالباب أجاب أنه الشيخ أمين وأنه جاء ليصلح ما بينه وبين أخيه، فلما سمع أخوه صوته ناداه أن ارجع من حيث جئت فأنا لم أدعك للمجيء، فما كان من الشيخ أمين إلا أن ألقى السلام وثنى وجهه منصرفاً عائداً، فقال الشيخ أحمد لوالده ألا تكرر المحاولة للدخول عليه فقد جئنا من مكان بعيد فقال الشيخ أمين لولده: يا ولدي لقد قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: 28] فأنا أرجع كما أمرني الله، ومضى مبتعداً عن الدار، فما كان من أخيه إلا أن لحق به واعتنقه وورده إلى بيته وذهب ما كان بينهما.

التخلق بأخلاق القرآن رضى للرحمن ومتابعة للنبي العدنان وسعادة لبني الإنسان.

- عقد سعيد على ليلي وكان مقدمها ثلاث ليرات ذهبية ومؤخرها مثله، وسافر بعد العقد بشهرين إلى بلد أوربي على أمل أن يرسل لها بعد ستة أشهر لتلحق به ويتزوجا، مضت السنة الأولى ولم يستطع إلحاقها به ثم مضت الثانية والأمر على حاله، ضاق بليلى أمرها وطلبت طلاقاً إذ لم تتغير ظروف سعيد ولم يريا بارقة أمل.

عذر سعيد لزوجته طلبها ورأى بأنها محقة فوعدها أنه ملتزم بدفع نصف المهر وإن أرادت زيادة فإنه مستعد لذلك، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

لكنها وأهلكها اختاروا أن تعفو هي لما يعلمون من ضيق حاله وقلة ذات يده، فأخبرته أنه مسامحة له بكل شيء على أن يسامحها بما قدم من الهدايا.

ووقع الطلاق بينهما على ذلك، وكل منهما يحترم الآخر ويدعو له.  
التخلق بأخلاق القرآن رضى للرحمن ومتابعة للنبي العدنان وسعادة لبني الإنسان.

### أيها الأخوة:

إن مما يعين على التخلق بأخلاق القرآن خمسة:

- 1- سل ربك أن يفتح عليك في فهم كتابه والعمل بما فيه.
- 2- اقرأ القرآن كل يوم.
- 3- احرص على أن تفهم ما تقرأ، فإن لم تفهم معاني بعض الكلمات فعُد إلى معانيها في كُتب التفسير.

4- اعمل بشيء واحد -على الأقل- مما قرأته في كل يوم.

5- علِّم غيرك ما تعلمته من القرآن.

### أيها الإخوة:

أكثرُوا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

والحمد لله رب العالمين